الحب لا يقف على الضوء الأحمر

نزار قباني

أنت في العشرين تستطيع أن تحب
وأنت في الثمانين تستطيع أن تحب
هناك دائما مناسبة لاشتعال البرق..

فرانسواز ساغان

افتتاحية

هذا كتابي الأربعون .. ولم أزل

أحبو كتلميذٍ صغيرٍ .. في هواكِ

هذا كتابي الأربعون ..

ورغم كل شطارتي .. ومهارتي

لم يرض عني ناهداك ...

كل اللغات قديمة جدا ..

وأضيَق من رؤاي ومن رؤاك ..

لا بد من لغة أفصلها عليك.. حبيبتي

لا بد من لغة تليق بمستواك ..

حلّقت آلاف السنين .. وما وصلت إلى ذراك

وجلبت تيجان الملوك .. وما حصلت على رضاك ..

وصعدت فوق الأبجدية كي أراك ..

يا من تخيط قصائدي ثوبا لها ..

هل ممكن بين القصيدة ،، والقصيدة

أن أراك ؟؟

القرار

إني عشقتكِ واتخذت قراري

فلمن أقدم يا ترى أعذاري

لا سلطة في الحب

تعلو سلطتي

فالرأي رأيي والخيار خياري

هذي أحاسيسي فلا تتدخلي أرجوكِ

بين البحر والبحَّار

ظلي على أرض الحياد .. فإنني

سأزيد إصرارا على إصرار

ماذا أخاف ؟

أنا الشرائع كلها

وأنا المحيط .... وأنت

من أنهاري

وأنا النساء جعلتهن خواتما لأصابعي

وكواكبا بمداري

خليك صامتة ولا تتكلمي

فأنا أدير مع النساء حواري

وأنا الذي أعطي مراسيم الهوى

للواقفات أمام باب مزاري

وأنا أرتب دولتي وخرائطي

وأنا الذي أختار لون بحاري

وأنا أقرر من سيدخل جنتي

وأنا أقرر من سيدخل ناري

أنا في الهوى متحكم متسلط

في كل عشق نكهة استعمار

فاستسلمي لإرادتي ومشيئتي

واستقبلي بطفولة أمطاري

إن كان عندي ما أقول

فإنني سأقوله للواحد القهار

***

عيناك وحدهما هما شَرعِيتي

ومراكبي وصديقتا أسفاري

إن كان لي وطن .. فوجهك موطني

أو كان لي دار .. فحبك داري

من ذا يحاسبني عليك.. وأنت لي

هبة السماء.. ونعمة الأقدار؟

من ذا يحاسبني على ما في دمي

من لؤلؤٍ .. وزمرد .. ومحار ؟

أيناقشون الديك في ألوانه ؟

وشقائق النعمان في نوّار ؟

****

يا أنتِ يا سلطانتي ومليكتي

يا كوكبي البحري يا عشتاري

إنى أحبكِ دون أي تحفظ

وأعيش فيكِ ولادتي

ودماري

إني اقترفتكِ عامداً متعمداً

وإن كنتِ عاراً

يا لروعة عاري

ماذا أخاف ...ومن أخاف

أنا الذي نام الزمان على صدى أوتاري

وأنا مفاتيح القصيدة في يدي

من قبل بشار .. ومن مهيارِ

وأنا جعلت الشعر خبزاً ساخناً

وجعلته ثمراً على الأشجارِ

سافرت في بحر النساء

ولم أزل من يومها مقطوعة أخباري

***

يا غابة تمشي على أقدامها

وتــَـرشّني بقرنفل و بهار

شفتاك تشتعلان مثل فضيحة

والناهدان بحالة استنفار

وعلاقتي بهما تظل حميمة

كعلاقة الثوار بالثوار ..

فتشرفي بهواي كل دقيقة

وتباركي بجداولي وبذاري

أنا جيد جدا .. إذا أحببتني

فتعلمي أن تفهمي أطواري ..

*** * ***

من ذا يقاضيني

وأنتِ قضيتي

ورفيف أحلامي ... وضوء نهاري

من ذا يهددني وأنتِ حضارتي...

وثقافتي

وكتابتي ... ومناري

إني استقلت من القبائل كلها

وتركت خلفي خيمتي وغباري

هم يرفضون طفولتي ونبوءتي

وأنا رفضت مدائن الفخار

كل القبائل لا تريد نسائها

أن يكتشفن الحب في أشعاري

كل السلاطين الذين عرفتهم

قطعوا يدي وصادروا أشعاري

لكنني قاتلتهم وقتلتهم

ومررت بالتاريخ كالإعصار

أسقطت بالكلمات ألف خليفة

وحفرت بالكلمات ألف جدار

***

أ صغيرتي إن السفينة أبحرت

فتكومي كحمامة بجواري

ما عاد ينفعكِ البكاء والأسى

فلقد عشقتك .. واتخذت قراري

83/3/25

معها .. في باريس

لا الشعرُ ، يُرضي طُمُوحاتي ، ولا الوَتَرُ

إنّي لعَيْنَيْكِ ، باسمِ الشِعْرِ ، أعتذِرُ..

حاولت وصفك ، فاستعصى الخيال معي

يا مَنْ تَدُوخُ على أقدامِكِ الصُوَرُ

يُروِّجُونَ كلاماً لا أُصَدِّقُهُ

هل بين نـهديك ، حقا ، يسكن القمر ؟؟

كم صَعْبَةٌ أنتِ .. تَصْويراً وتَـهْجِيَةً

إذا لَمَسْتُكِ ، يبكي في يدي الحَجَرُ

من أنت ؟. من أنت ؟. لا الأسماء تسعفني

ولا البصيرةُ ، تكفيني ، ولا البَصَرُ

نَـهْداكِ .. كان بودِّي لو رَسَمْتُهُمَا

إذا فشلت ..فحسبي أنني بشر

***

أيا غَمَامةَ مُوسيقى .. تُظَلِّلُني

كذا يُـنـقـِّـط فـوق الجنـة المطر

الحَرْفُ يبدأُ من عَيْنَيْكِ رحْلتَهُ

كلُّ اللُغاتِ بلا عينيكِ .. تَنْدثِرُ

يا من أحبك ، حتى يستحيل دمي

إلى نبيذٍ ، بنار العِشْق يَخْتَمِرُ

يسافر الحب مثل السيف في جسدي

ولم أُخَطِّطْ لهُ .. لكنَّهُ القدَرُ..

هزائمي في الهوى تبدو مُعَطَّرَةً

إني بحبك مهزوم .. ومنتصر

تركتُ خَلْفيَ أمجادي .. وها أنذا

بطُولِ شَعْرِكِ - حتى الخَصْرِ - أفْتَخِرُ

ماذا يكون الهوى إلا مخاطرة

وأنتِ .. أجملُ ما في حُبِّكِ الخَطَرُ

يا مَنْ أُحِبُّكِ .. حتى يستحيلَ فمي

إلى حدائق فيها الماء والثمر

جزائرُ الكُحْلِ في عينيكِ مُدْهِشَةٌ

ماذا سأفعلُ لو ناداني السفرُ؟؟

****

سمراء .. إن حقول التبغ مقمرة

ولُؤلُؤُ البحر شفّافٌ .. ومُبْتَكرُ

هل تذكرينَ بباريسَ تسكُّعَنَا ؟

تمشين أنت .. فيمشي خلفك الشجر

خُطَاكِ في ساحة (الفاندوم) أُغنيةٌ

وكُحْلُ عينيكِ في (المادلين) ينتثرُ ..

صديقة المطعم الصيني .. مقعدنا

ما زال في رُكْنِنَا الشعريِّ ، ينتظرُ

كلُّ التماثيل في باريسَ تعرفُنا

وباعة الورد ، والأكشاك ، والمطر

حتّى النوافيرُ في (الكونكُورد) تذكُرُنا

ما كنتُ أعرفُ أن الماءَ يَفْتكِرُ ..

****

نبيذُ بُوردو .. الذي أحسُوهُ يصرعُني

ودفءُ صوتِكِ .. لا يُبْقي ولا يَذَرُ

ما دمت لي .. فحدود الشمس مملكتي

والبر ، والبحر ، والشطآن ، والجزر

ما دامَ حُبُّكِ يُعْطيني عباءتَهُ

فكيفَ لا أفتحُ الدنيا .. وأنتصِرُ ؟

سأركب البحر .. مجنونا ومنتحرا ..

والعاشقُ الفذُّ .. يحيا حين ينتحِرُ ...

83/5/8

من يوميات تلميذ راسب

1

ما هُوَ المطلوبُ منّي ؟

ما هُوَ المطلوبُ بالتحديد منّي ؟

إنَّني أنْفَقتُ في مدرسة الحُبّ حياتي

وطوالَ الليل .. طالعتُ .. وذاكرتُ ..

وأنهيتُ جميعَ الواجباتِ..

كلُّ ما يمكنُ أن أفعلَهُ في مخدع الحُبِّ ،

فعَلْتُهْ ...

كلُّ ما يمكنُ أن أحفرَهُ في خَشَب الوردِ ،

حفَرْتُهْ ...

كلُّ ما يمكنُ أن أرسُمَهُ ..

من حُرُوفٍ .. ونقاطٍ .. ودوائرْ ..

قد رَسَمْتُهُ ..

فلماذا امتلأتْ كرَّاستي بالعَلاَمات الرديئَهْ ؟.

ولماذا تَسْتَهينينَ بتاريخي ..

وقُدْراتي .. وفنّي ..

أنا لا أفهمُ حتى الآنَ ، يا سيِّدتي

ما هُوَ المطلوبُ منّي؟.

2

ما هُوَ المطلوبُ منّي؟

يشهدُ اللهُ بأنِّي ..

قد تَفرَّغْتُ لنـهديْكِ تمـامـا ..

وتَصَرَّفْتُ كفنّـانٍ بدائـيٍّ ..

فأنْـهَكْتُ .. وأوْجَعْتُ الرُخَاما

إنّـني منذُ عصور الرقِّ .. ما نِلْتُ إجازَهْ

فأنـا أعمَلُ نَحَّاتاً بلا أجْرٍ لدى نَـهْدَيْكِ

مُذْ كنتُ غُلامًا ..

أحملُ الرملَ على ظَهْري ..

وأُلْقِيـهِ ببحر اللانـهايَهْ

أنـا منذ السَنَةَ الألفَيْنِ قبْلَ النـهدِ ..

يا سيِّدتي – أفعلُ هذا ...

فلمـاذا؟

تطلبينَ الآنَ أن أبدأ – يا سيّدتي – منذُ البدايَهْ

ولماذا أُطْعَنُ اليومَ بإبْداعي ..

وتشكيلاتِ فنّي ؟

ليتني أعرفُ ماذا ...

يبتغي النَهْدَانِ منّي؟ ؟

3

ما هُوَ المطلوبُ منّي ؟

كي أكونَ الرجُلَ الأوَّلَ ما بين رجالِكْ

وأكونَ الرائدَ الأوَّلَ ..

والمكتشفَ الأوَّلَ ..

والمستوطنَ الأوَّلَ ..

في شَّعْرِكِ .. أو طَيَّاتِ شَالِكْ ..

ما هو المطلوبُ حتّى أدخلَ البحرَ ..

وأستلقي على دفءِ رمالِكْ ؟

إنني نفَّدْتُ – حتى الآنَ –

آلافَ الحماقاتِ لإرضاء خيالِكْ

وأنا استُشْهدتُ آلافاً من المرَّاتِ

من أجل وصالِكْ ..

يا التي داخَتْ على أقدامِها

أقوى الممالِكْ ..

حَرِّريني ..

من جُنُوني .. وجَمالِكْ ..

4

ما هُوَ المطلوبُ منّي ؟

ما هُوَ المطلوبُ حتى قطَّتي تصفحَ عنّي ؟

إنَّني أطْعَمْتُها ..

قمحاً ... ولَوْزاً ... وزَبيبا ..

وأنا قدَّمتُ للنهديْنِ ..

تُفَّاحاً ..

وخمراً ..

وحليباً ..

وأنا علّقتُ في رقَبَتِها ..

خَرَزَاً أزْرَقَ يحميها من العَيْنِ ،

وياقُوتاً عجيبا ..

ما الذي تطلبهُ القِطَّةُ ذاتُ الوَبَر الناعِمِ منّي ؟

وأنا أجْلَسْتُها سُلْطَانةً في مقعدي ..

وأنا رافقتُها للبحر يومَ الأَحَدِ ...

وأنا حَمَّمْتُها كلَّ مساءٍ بيدي ..

فلماذا ؟

بعد كلِّ الحُبِّ .. والتكريمِ ..

قد عضَّتْ يدي ؟.

ولماذا هي تدعوني حبيباً ..

وأنا لستُ الحبيبا ..

ولماذا هيَ لا تمحُو ذُنُوبي ؟

أبداً .. واللهُ في عَليائهِ يمحُو الذُنُوبَا ..

5

ما هُوَ المطلوبُ أن أفعلَ كي أُعْلِنَ للعشق وَلائي

ما هُوَ المطلوبُ أن أفعلَ كي أُدْفَنَ بين الشُهَدَاءِ ؟

أَدْخَلُوني في سبيل العِشْق مُسْتَشفى المجاذيبِ ..

وحتَّى الآنَ - يا سيِّدتي - ما أَطْلَقُوني ..

شَنَقُوني - في سبيل الشِعْر - مرَّاتٍ .. ومرَّاتٍ ..

ويبدُو أنَّهُمْ ما قتَلُوني

حاولو أن يقلَعُوا الثورةَ من قلبي .. وأوراقي ..

ويبدُو أنَّهُمْ ..

في داخل الثورة - يا سيِّدتي -

قد زَرَعُوني ...

6

يا التي حُبِّي لها ..

يدخُلُ في باب الخُرَافاتِ ..

ويَسْتَنْزِفُ عُمْرِي .. ودمايا ..

لم يَعُدْ عندي هواياتٌ سوى

أن أجْمَعَ الكُحْلَ الحجازيَّ الذي بَعْثَرْتِ في كلِّ الزوايا ..

لم يعُدْ عندي اهتمامَاتٌ سوى ..

أنْ أُطفيءَ النارَ التي أشْعَلَها نَهْدَاكِ في قلب المرايا ..

لم يعُدْ عندي جوابٌ مُقْنِعٌ ..

عندما تسألُني عنكِ دُمُوعي .. وَيَدَايا ..

7

إشْرَبي قهوتَكِ الآنَ .. وقُولي

ما هو المطلوبُ منِّي ؟

أنا منذُ السنَةِ الألفَيْنِ قبْلَ الثغْرِ ..

فكَّرْتُ بثغرِكْ ..

أنا منذُ السنَةَ الألفَيْنِ قبْلَ الخَيْل ..

أجْرِي كحصانٍ حَوْلَ خَصْرِكْ ..

وإذا ما ذكروا النيلَ ..

تَباهَيْتُ أنا في طُول شَعْرِكْ

يا التي يأخُذُني قُفْطَانُها المشْغُولُ بالزَهْر ..

إلى أرض العَجَائبْ ..

يا التي تنتشرُ الشَامَاتُ في أطرافِها

مثْلَ الكواكبْ ..

إنَّني أصرخُ كالمجنون من شِدَّة عِشْقي ..

فلماذا أنتِ ، يا سيِّدتي ، ضدَّ المواهبْ ؟

إنّني أرجُوكِ أن تبتسمي ..

إنني أرجُوكِ أن تَنْسَجمِي ..

أنتِ تدرينَ تماماً ..

أنَّ خِبْراتي جميعاً تحتَ أمْرِكْ

وَمَهاراتي جميعاً تحتَ أمْرِكْ

وأصابيعي[1] التي عَمَّرتُ أكواناً بها

هيَ أيضاً ..

هيَ أيضاً ..

هيَ أيضاً تحت أمْرِكْ ..

83/4/15

---

[1] أصابيعي : أصابعي باللهجة الشامية السورية.

تصوير

إضطجعي دقيقة واحدة ..

كي أكمل التصوير ..

إضطجعي مثل كتاب الشعر في السرير

أريد ان أصور الغابات في ألوانـها

أريد أن أصور الشامات في اطمئنانـها

أريد ان أفاجئ الحلمة في مكانـها

و النـاهد الأحمق - يا سيدتي -

قبيل أن يطير ..

فساعديني ..

- إن تكرمت - لكي أصالح الحرير

وساعديني ..

- إن تكرمت - لكي أفوز في صداقة الكشمير .

لعله يسمح لي برسم هذا الكوكب المثير ..

ولتقبلي تحيتي ..

مقرونة بالحب و التقدير .

نيسان (ابريل) 1983

من غير يدين

لم أكن منتظراً..

أن تثقبيني مثل رمح وثني

لم أكن منتظراً ..

أن تدخلي في لغتي .. و كلامي ..

و إشارات يدي

لم أكن منتظراً ..

أن تصبحي أنت الثقافة ..

لم أكن منتظراً ..

أن أخسر التاج .. وحقي بالخلافة ..

فلقد كنت قوياً .. وشهيراً

وجنودي يملأون البر و البحر ..

و راياتي تغطي المشرقين

لم أكن منتظراً أن يحدث الزلزال ..

أن ينشطر البحر ..

و أن تكسرني عيناك ، يوماً ، قطعتين ..

*** * ***

لم أكن منتظراً ..

حين قبلتك أن أنسى لديك الشفتين

لم أكن منتظراً ..

حين عانقتك .. أن أرجع من غير يدين ..

أيار (مايو) 1983

التقصير

منذ ثلاثين سنة

أحلم بالتغيير

و أكتب القصيدة الثورةَ.. والقصيدةَ الأزْمة ..

و القصيدة الحريرْ...

****

مند ثلاثينَ سنة

ألعبُ باللغاتِ مثلما أشاءْ

وأكتب التاريخ بالشكل الذي أشاءْ..

وأجعل النقاط ، والحروف، والأسماء، والأفعال،

تحت سلطة النساء.

وأدَّعي بأنَّني الأوّلُ في فن الهوى..

وأنَّني الأخير..

***

وعندما دخلت.. يا سيِّدتي

إلى بلاط حبُّكِ الكبير..

إنكسر الكلام ـ يا سيِّدتي ـ على فمي

وانكسر التعبير...

***

ولا أزال كلـّما سافرت في عينيك.. يا حبيبتي

أشعر بالتقصير..

وكلـّما حدّقت في يديك يا حبيبتي

أشعر بالتقصير..

وكلـّما اقتربت من جمالك الوحشيِّ يا حبيبتي

أشعر بالتقصير..

وكلّما راجعت أعمالي التي كتبتها..

قبيل أن أراك يا حبيبتي..

أشعر بالتقصير..

أشعر بالتقصير..

أشعر بالتقصير...

قصيدة سريالية

1

لا أنت، يا حبيبتي، معقولةٌ

ولا أنا معقول..

هل من صفات الحبِّ..

أن يُحَطِّم العاديَّ، والمألوف، والمعقولْ؟

هل من شروط الحُبِّ..

أن نجهلَ، يا حبيبتي، أسماءنا؟

هل من شروط الحبِّ، يا حبيبتي؟

أن لا نرى أمامنا..

ولا نرى وراءَنا..

هل من شروط الحبِّ، يا حبيبتي؟

بأن أسمَّى قاتلاً حين أنا المقتول..

2

لا أنت يا حبيبتي معقولةٌ..

ولا أنا معقول

فشطِّبي - حين أكون غاضباً

من كلماتي، نصف ما أقول..

وهذِّبي مشاعري..

وقلِّمي أظافري..

ولملمي جميعِ ما أرميه من شوكٍ ومن وحول

وصدِّقيني دائماً..

حين أجيءُ حاملاً إليك يا حبيبتي

3

لا أنت يا حبيبتي معقولةٌ

ولا أنا معقول..

ورغم هذا ..

يستمر الرفض والقبول

ورغم هذا ..

يستمرٌّ الضحكُ، والصراخ، والشروق، والأفول

فما الذي نخسر يا حبيبتي؟

لو أنت قد أعطيتني يديك

وسافرت يداي فوق الذهب المشغول

وما الذي نخسر يا مليكتي؟

لو انطلقنا مثل عصفورين في الحقول

وما الذي نخسر يا أميرتي؟

إذا طبعت قبلةً في الأحمر الخجول..

وما الذي نخسر يا سبيكتي ؟

إذا ارتفعنا مثل صوفي إلى مرتبة الفناء والحلول

وما الذي نخسر يا حبيبتي؟

لو نحن صلَّينا على الرسولْ..

من يوميات رجل مجنون

1

إذا ما صرخت:

"أحبُّك جدّاً"

"أحبُّك جدا"

فلا تسكتيني.

إذا ما أضعت اتزّاني

وطوَّقت خصرك فوق الرصيف،

فلا تنهريني..

إذا ما ضربت شبابيك نهديك

كالبرق، ذات مساءٍ

فلا تطفئيني..

إذا ما نزفت كديك جريح على ساعديك

فلا تسعفيني..

إذا ما خرجت على كل عرف، وكل نظام

فلا تقمعيني..

أنا الآن في لحظات الجنون العظيم

وسوف تضيعين فرصة عمرك

إن أنت لم تستغلّي جنوني.

2

إذا ما تدفَّقت كالبحر فوق رمالك..

لا توقفيني..

إذا ما طلبت اللجوء إلى كحل عينيك يوماً،

فلا تطرديني..

إذا ما انكسرت فتافيت ضوءٍ على قدميك،

فلا تسحقيني..

3

إذا ما ارتكبت جريمة حبٍّ..

وضيَّع لون البرونز المعتَّق في كتفيك.. يقيني

إذا ما تصرفت مثل غلامٍ شقيٍّ

وغطَّستُ حلمة نهدك بالخمر...

لا تضربيني.

أنا الآن في لحظات الجنون الكبير

وسوف تضيعين فرصة عمرك،

إن أنت لم تستغلّي جنوني.

4

إذا ما كتبت على ورق الورد،

أنّي أحِبّك..

أرجوك أن تقرأيني..

إذا ما رقدت كطفلٍ ، بغابات شَعرك،

لا توقظيني.

إذا ما حملت حليب العصافير.. مهراً

فلا ترفضيني..

إذا ما بعثت بألف رسالة حُبٍّ

إليك...

فلا تحرقيها.. ولا تحرقيني..

5

إذا ما رأوك معي، في مقاهي المدينة يوماً،

فلا تنكريني..

فكل نساء المدينة يعرفن ضعفي أمام الجمال..

ويعرفن ما مصدر الشِعر والياسمين..

فكيف التخفي؟

وأنت مصوَّرةٌ في مياه عيوني.

أنا الآن في لحظات الجنون المضيءِ

وسوف تضيعين فرصة عمرك،

إن أنت لم تستغلِّي جنوني.

6

إذا ما النبيذ الفرنسيُّ،

فكَّ دبابيس شعرك دون اعتذار

فحاصرني القمح من كل جانب

وحاصرني الليل من كل جانب

وحاصرني البحر من كل جانب

وأصبحتُ آكُل مثل المجانين عشب البراري..

وما عدت أعرف أين يميني..

وما عدت أعرف أين يساري؟

7

إذا ما النبيذ الفرنسيُّ،

ألغى الفروق القديمة بين بقائي وبين انتحاري

فأرجوك، باسم جميعِ المجاذيب، أن تفهميني

وأرجرك، حين يقول النبيذ كلاماً عن الحبِّ..

فوق التوقُّع.. أن تعذريني.

أنا الآن في لحظات الجنون البهيِّ

وسوف تضيعين فرصة عمرك

إن أنت لم تستغلِّي جنوني..

8

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ،

ألغى الوجوه،

وألغى الخطوط ،

وألغى الزوايا.

ولم يبق بين النساء سواك.

ولم يبق بين الرجال سوايا.

وما عدت أعرف أين تكون يداك..

وأين تكون يدايا..

وما عدت أعرف كيف أفرِّق بين النبيذ،

وبين دمايا..

وما عدت أعرف كيف أميِّز بين كلام يديك

وبين كلام المرايا..

إذا ما تناثرت في آخر الليل مثل الشظايا

وحاصرني العشق من كلِّ جانب

وحاصرني الكحل من كلِّ جانب

وضيَّعت إسمي..

وعنوان بيتي..

وضيَّعت أسماء كل المراكب

فأرجوك، بعد التناثر، أن تجمعيني.

وأرجوك، بعد انكساري، أن تلصقيني

وأرجوك، بعد مماتي، أن تبعثيني

أنا الآن في لحظات الجنون الكبير

وسوف تضيعين فرصة عمرك

إن أنت لم تستغلِّي جنوني.

9

إذا ما النبيذ الفرنسيُّ،

شال الكيمونو عن الجسد الآسيويِّ

فأطلع من عتمة النهد فجرا

وأطلع منه بهاراً..

وأطلع منه محاراً..

وأطلع منه نحاساً، وشاياً، وعاجاً

وأطلع أشياء أخرى..

إذا ما النبيذ الفرنسيُّ،

ألغى اللُّغات جميعاً.

وحوَّل كلَّ الثقافات صفرا..

وكلَّ الحضارات صفرا

وحوَّل ثغرك بستان وردٍ

وحوّل ثغري خمسين ثغرا..

إذا ما النبيذ الفرنسيُّ أعلن في آخر الليل،

أنّك أحلى النساء..

وأرشقهنَّ قواماً وخصرا

وأعلن أنَّ الجميلات في الكون نثرٌ

ووحدك أنت التي صرت شعرا

فباسم السكارى جميعاً

وباسم الحيارى جميعاً

وباسم الذين يعانون من لعنة الحبِّ،

أرجوك لا تلعنيني..

وباسم الذين يعانون من ذبحة القلب،

أرجوكِ لا تذبحيني..

أنا الآن في لحظات الجنون العظيم

وسوف تضيعين فرصة عمرك،

إن أنت لم تستغلـِّي جنوني...

25 أيار (مايو) 1983

فاطمة في الريف البريطاني

-1-

شهر ديسمبر رائع

شهر ديسمبر في لندن ، هذا العام ، رائع

فبهِ هاجمني الحب

وألقاني جريحا كمصابيح الشوارع ..

هذه فاطمة تلبس بنطالا من الجلد نبيذيا

وتوصيني بأن أمسكها من يدها كي لا أضيع

وهي تدري جيدا ..

أنني من يوم ميلادي ، ببحر الحب ضائع

فلماذا في (هارودز) نسيتني ؟

ولماذا غضِبت مني .. لماذا أغضبتني ؟

وهي تدري أني من دونها

لا أقطع الشارع وحدي ..

لا ولا أدخل في المعطف وحدي ..

لا و لا أشرب فنجاناً من القهوة وحدي

ولا أعرف أن أرجع للفندق وحدي

فلماذا في (هارودزٍ) صلبتني ؟

فوق أكداس هداياها .. لماذا .. لماذا صلبتني؟

وهي تدري أنني أعبدها

من رأسها حتى الأصابع

شهر ديسمبر رائع

-2-

شهر ديسمبر ، يبقى مَلِكا بين الشهور

فهو أعطاني مفاتيح السماوات ..

وأعطاني مفاتيح العصور

ورماني كوكباً مشتعلا حول نهديك يدور

سقطت في لندن ، كل التواريخ ،

وغابت تحت جفنيك جبال وبحور

شهر ديسمبر ، ألغاك .. وألغاني

فنحن الآن ضوء غير مرئي

وعطر .. وبَخُور

شهر ديسمبر .. مجنون تعلمتِ به ..

أن تثوري ..

وتعلمت به كيف أثور

شهر ديسمبر ..

ألغى عقدة الحب التي نحملها

فإذا بي مثل عصفور طليق

وإذا بك ، يا فاطمة ، دون جذور

-3-

لندن .. باردة جدا ..

فيا فاطمة ..

افتحي فوقي مظلات الحنان

لندن قاسية جداً

وإني خائف جداً

فـرُدي لـي شعوري بالأمان

خبئيني تحت قـفطانك ، يا فاطمـة مثل طفل

فـلـقـد ضيعت أبعادي ، وأبعاد المكان

حاولـي أن تصبحي أمي .. كما أنت الحبـيـبـة

من زمان .. لم أضع رأسي على صدر حنون

من زمان ...

-4-

لندن حبي .. وفي باركاتـها غنيت أحلى أغنيـاتي

لندن مجدي

فـفيها قـد تغرغرت بأولى كلماتي

لندن حزنـي ..

على كل رصيف دمعة من دمعاتي

لندن عاصمة القلب

وفيها قد تلاقيت بستِّ الملكات

لندن ، تعرف وجهي جيدا

فأنا جزء من اللون الرمادي

ومن أعمدة النور ..

وأضواء الميادين ..

وصوت القبرات

منذ أن جئت إليها عاشقا

أصبحت لندن إحدى المعجزات

لندن .. تأخذني كالطفل في أحضانها

وطوال الليل ، تتلو من كتاب الذكريات

لندن صاحبة الفضل ..

فقد علمتني العشق في كل اللغات

-5-

هذه فاطمة

تقتحم التاريخ من كل الجهات

إنها تدخل كالإبرة

في كل تفاصيل حياتي

آه .. كم تعجبني فاطمة

عندما تجلس كالقطة بين المفردات

تأكل الفتحة .. والضمة .. في شعري ..

وتَبْتَلُّ بأمطار دواتي

-6-

مبحر في زمن الـكحل

ولا أدري لأين ؟

مبحر فيك .. ولا أدري لأين ؟

يا صباح الخير .. يا عصفورتي

أنا في أحسن حالاتي ..

فما أطيب القهوة في قربك ..

ما أرشق هاتين اليدين

ثم ما أروع أن يكتشف الإنسان في ذات صباح لندني

في مكان ما .. على ظهر الحبيبة ... شامتين

لم تكونا ، عندما جئت مساء البارحة .. مولودتين

فاتركيني .. أضفر الشَعر الذي طال في لندن ،

من فرط حناني ، بوصتين

واتركيني

أمسك الشمس التي تغطس بين الشفتين

اتركيني ، أوقف التاريخ يا فاطمة

لحظة .. أو لحظتين

أخذوا كل عناويني ..

ولم يبق أمامي غير هذا الشارع الضيق بين الناهدين

-7-

لندن تمطرني ثلجاً .. وأبقى باشتهائي بدويا

لندن تمنحني كل الثقافات .. وأبقى بجنوني عربيا

لندن تمطرني عقلاً .. وأبقى فوضويا

لندن تجهل حتى الآن .. من أنت لديا

آه.. يا سنجابة الليل

التي تدخل في الأعماق رمحاً وثنيا

إن تاريخك قبلي كان تاريخاً غبياً

إن عصري قبل أن يرسلك الله

إليا كان عصرا حجريا

فاشربي شيئا من الخمر معي

اشربي شيئا من الحلم معي

اشربي شيئا من الوهم معي

اشربي شيئا من الفوضى معي ..

اشربي حتى تصيري امرأة

واتركي الباقي عليّا...

-8-

شهر ديسمبر يأتي

لابساً معطف شاعر

شهر ديسمبر يهديني دموعاً .. وشموعاً .. ودفاتر

هذه فاطمة تلبس كيمونو من الصين

موشّـى بالأزاهر

شاي بعد الظهر من بين يديها

مهرجانات من اللون

وموسيقى أساور

لم تكن فاطمة مشرقة الوجه كما كانت (بمارلو)

لم تكن صافية العين كما كانت (بمارلو)

لم تكن معتزة النـهدين من قبل ..

كما كانت (بمارلو) .

لم تكن ملفوفة الخصر

كما كانت (بمارلو)

لم يكن يسكنـها الشعر

كما كانت (بمارلو)

لم يكن يسكنـها الشعر

كما كانت (بمارلو) ..

إننـي آمنت أن الحب ساحر

-9-

هذه فاطمة

تغسل نـهديها النـحاسيـين بالماء ..

كطائر وأنا في الغرفة الخضراء أستلقي سعيدا

تحت أشجار الكاكاو

وهتافات المرايا والستائر

فاشربي شيئا من الشعر معي

فأنا ـ دونك يا سيدتي ـ لست بشاعر

اشربي حتى تصيري امرأة

إن حبي لك مجنون .. وملعون ..ووحشي الأظافر

-10-

ورق الأشجار في (مارلو)

نحاسيّ .. ووورديّ ،، وأصفرْ ..

ولقائي بك في الريف البريطاني حلم لا يُفسر ..

والعصافير ترى ثغرك في أحلامها وردة .. أو نجمة ..

أو قرص سكر

وأنا معتقل ما بين نهديك ..

ولا أطلب ـ يا سيدتي ـ أن أتحرر

آه .. يا قطة (مارلو) ..

ليتني أقدر أن أغرق في فروكِ أكثر ...

ليتني أقدر أن أبقى ..

بهذا الفندق الضائع بين الغيم أكثر

ليتني أقدر أن أدخل في جلدك

في شعرك ..

في صوتك أكثر

آه .. يا أيتها الأنثى التي لا تتكرر

هل عشقـتُ امرأة قبلك .. يا فاطمـة ؟

إنـني لا أتذكر ..

هل سأهوى امرأة بعدك .. يا فاطمـة

إنـني لا أتصور

-11-

آهِ .. يا قطة (مارلو) الساحرة علمينـي ..

كيف تـُـلغى الذاكرة

هل سألقاك (بمـارلو) ؟

بعد عام ربما أو بعد شهر

فتـنـامين على أعشاب صدري

وتـفـيـقـيـن على أعشاب صدري ..

قبل (مـارلو) ليس لـي عمـرٌ ..

فأنت الآن عمري ..

بعد (مارلو) سيقول الناس :

ما أجمل عينيك ..

وما أعظم شِعري ..

لم أشاهد ليلة القدر ..

فهل أنت ، يا فاطمة ، ليلة قدري ؟؟

-12-

أرجعي مرة أخرى إلى (مارلو)..

ففيها عشت عصري الذهبيا

لم ير الريف البريطاني من قبلك

عينين تقولان كلاما عربيا

قبل أن ألقاك في فندق (مارلو)

كنت إنساناً ..

وأصبحت نبيا

أرجعي لي غرفتي في ملتقى النهر ،

وأحلامي

وركني الشاعريا

قبل (مارلو) لا يساوي العمر شيا

بعد (مارلو) لا يساوي العمر شيا

إن عينيك هما ما كتب الله عليا

فاتركيني نائما بينهما

واقفلي الباب عليا

مع فاطمة في قطار الجنون

1

إبحثي عن رجلٍ غيري..

إذا كنت تريدين السلامة..

كلُّ حبٍّ حارقٍ..

هو ـ يا سيِّدتي ـ ضدَّ السلامة

كلُّ شعرٍ خارقٍ..

هو ـ في تشكيله ـ ضدَّ السلامة

فابحثي عن رجلٍ غيري..

إذا كنت تحسّين بأصوات الندامة

إبحثي عن رجلٍ..

يمتلك القدرة والصبر.. لتثقيف حمامة

فأنا من قبل.. ما حاولت تثقيف حمامة...

إنَّ حبِّي لك يا سيِّدتي

أشبه بيوم القيامة..

من ترى يقدر أن يهرب من يوم القيامة؟

فاقبلي ما قسم الله عليك..

بإيمانٍ عميقٍ.. وابتسامة..

واتبعيني..

عندما أركب في الليل قطارات الجنون..

طالما أنت معي..

لست مهتماً بما كان..

وما سوف يكون...

2

آه.. يا سنبلة القمح التي تخرج من وسط الدموع

دخل السيف إلى القلب، ولا يمكننا الآن الرجوع

إننا الآن على بوّابة العشق الخطيرة..

وأنا أهواك حتى الذبح..

حتى الموت..

حتى القشعريرة..

نحن مشهوران جدّاً..

وجريئان على التاريخ جدّاً..

والإشاعات كثيرة..

هكذا يحدث دوماً في العلاقات الكبيرة.

أه.. يا فاطمتي..

يا التي عشت وإياها ملايين الحماقات الصغيرة

إنّني أعرف معنى أن يكون المرءُ في حالة عشقٍ

خلف أسوار الزمان العربي

وأنا أعرف معنى أن يبوح المرء..

أو يهمس..

أو ينطق..

في هذا الزمان العربيّ..

وأنا أعرف معنى أن تكوني امرأتي..

رغم إرهاب الزمان العربيّ..

فأنا تطلبني الشرطة للتحقيق في ألوان عينيك..

وفيما تحت قمصاني..

وفيما تحت وجداني..

وأسفاري.. وأفكاري.. وأشعاري الأخيرة..

وأنا لو أمسكوني..

أسرق الكحل الذي يمطر من عينيك..

صادتني بواريد العشيرة..

فافتحي شعرك عن آخره..

إنّني مضطهدٌ مثل نبيٍّ..

ووحيد كجزيرة..

إفتحي شعرك عن آخره..

وانزعي منه الدبابيس.. فهذي فرصة العمر الأخيرة

3

آه.. يا أيقونة العمر الجميلة

يا التي تأخذني كلَّ صباحٍ من يدي

نحو ساحات الطفولة..

وتريني تحت جفنيها شموساً مستحيلة..

وبلاداً مستحيلة..

أيُّها الكنز الخرافيّ الذي كان معي

في قطارات الشمال..

إنّ حبر الصين في عينيك - يا سيِّدتي -

فوق احتمالي..

يا التي تمرقُ من بين شراييني..

كعطر البرتقال..

4

يا التي تشطرني نصفين في الليل..

وعند الفجر، تلقيني على ركبتها.. نصف هلال..

يا التي تحتلـُّني شرقاً.. وغرباً..

ويميناً.. وشمالاً..

إستمري في احتلالي..

أنا مشتاقٌ إلى أيّام (وندرمير)[2]..

مشتاقٌ لأن أمشي وإياك على الماء..

وأن أمشي على الغيم..

وأن أمشي على الوقت..

ومشتاقٌ لأن أبكي على صدرك حتى آخر العمر..

وحتّى آخر الشعر..

ومشتاقٌ لحانات الضواحي..

وكراسينا أمام النار..

---

[2] هي أكبر بحيرة طبيعية في إنجلترا وتقع في مقاطعة كومبريا.

مشتاقٌ إلى كل الذرى البيضاء..

حيث اختلط الكحل الحجازيُّ مع الثلج..

ومشتاقٌ إلى شيءٍ من الكونياك..

في برد الليالي..

-5-

آه.. يا عصفورة الماء التي تجلس قربي..

في قطارت الشمال..

إمسكيني من ذراعي جيداً

فالقرارات التي يصدرها السلطان لا تشغل بالي..

وملفّاتي لدى الشرطة لا تشغل بالي..

وحده حبكِ ـ يا سيدتي ـ يشغل بالي..

نحن قامرنا كثيرا..

وتطرفنا كثيرا ..

وتجاوزنا إشارات المرور..

فامسكيني من ذراعي جيداً..

لتدور الأرض..

فالأرض بلا حبٍّ كبير.. لا تدور..

منطقة البحيرات LAKE DISTRICT
ديسمبر 1982

أحبك.. أحبك.. وهذا توقيعي

1

هل عندك شكٌّ أنك أحلى امرأة في الدنيا؟.

وأهمّ امرأة في الدنيا؟.

هل عندك شك أني حين عثرت عليك..

ملكت مفاتيح الدنيا؟.

هل عندك شك أني حين لمست يديك

تغيّر تكوين الدنيا؟

هل عندك شك أن دخولك في قلبي

هو أعظم يومٍ في التاريخ.

وأجمل خبرٍ في الدنيا؟.

2

هل عندك شك في من أنت؟

يا من تحتل بعينيها أجزاء الوقت

يا امرأة تكسر، حين تمرّ، جدار الصوت

لا أدري ماذا يحدث لي؟

فكأنّك أنثاي الأولى

وكأني قبلك ما أحببت

وكأني ما مارست الحب.. ولا قبّلت ولا قُبّلت..

ميلادي أنت.. وقبلك لا أتذكر أني كنت

وغطائي أنت.. وقبل حنانك لا أتذكر أني عشت..

وكأني أيتها الملكة..

من بطنك كالعصفور خرجت...

3

هل عندك شك أنك جزءٌ من ذاتي

وبأنّي من عينيك سرقت النار..

وقمت بأخطر ثوراتي

أيتها الوردة.. والياقوتة.. والريحانة..

والسلطانة..

والشعبيّة..

والشرعيّة بين جميع الملكات..

يا سمكاً يسبح في ماء حياتي

يا قمراً يطلع كل مساء من نافذة الكلمات..

يا أعظم فتحٍ بين جميع فتوحاتي

يا آخر وطنٍ أولد فيه..

وأدفن فيه..

وأنشر فيه كتاباتي..

4

يا امرأة الدهشة.. يا امرأتي

لا أدري كيف رماني الموج على قدميك

لا أدري كيف مشيتِ إليّ..

وكيف مشيت إليك..

يا من تتزاحم كلُّ طيور البحر..

لكي تستوطن في نهديك..

كم كان كبيراً حظي حين عثرتُ عليك..

يا امرأةً تدخل في تركيب الشعر..

دافئـةٌ أنت كرمل البحـر..

دافئـةٌ أنت كليلـة قدر..

من يومِ طرقتِ علَّي الباب .. ابتدأ العمر..

5

كمِ صار جميلاً شعري..

حين تثقّف بين يديك..

كمِ صرت غنياً.. وقوياً..

لمـا أهداك الله إلـيّ..

هل عندك شك أنّك قبسٌ من عينـيّ

ويداك همـا استمرارٌ ضوئـيٌّ ليديّ..

هل عندك شكٌّ..

أنّ كلامك يخرج من شفتي؟

هل عندكِ شكٌّ..

أني فيك.. وأنّك فيَّ؟؟

6

يا ناراً تجتاح كياني

يا ثمراً يملأ أغصاني

يا جسداً يقطع مثل السيف،

ويضربُ مثل البركان

يا نهداً.. يعبق مثل حقول التبغ

ويركض نحوي كحصان..

قولي لي:

كيف سأنقذ نفسي من أمواج الطوفان..

قولي لي:

ماذا أفعل فيك؟. أنا في حالة إدمان..

قولي ما الحلُّ؟ فأشواقي

وصلت لحدود الهذيان...

7

يا ذات الأنف الإغريقي..

وذات الشَعر الإسباني

يا امرأةً لا تتكرر في آلاف الأزمان..

يا امرأةً ترقص حافية القدمين بمدخل شرياني

من أين أتيت؟ وكيف أتيت؟

وكيف عصفت بوجداني؟

يا إحدى نعم الله عليّ..

وغيمة حبٍّ وحنانٍ..

يا أغلى لؤلؤةٍ بيدي..

آهٍ.. كم ربّي أعطاني..

حبيبتي تقرأ فنجانها

1

توقفي.. أرجوك.. عن قراءة الفنجان

حين تكونين معي..

لأنني أرفض هذا العبث السخيف،

في مشاعر الإنسان.

فما الذي تبغين، يا سيدتي، أن تعرفي؟

وما الذي تبغين أن تكتشفي؟.

أنتِ التي كنتِ على رمال صدري..

تطلبين الدفءَ والأمان..

وتصهلين في براري الحبِّ كالحصان..

ألم تقولي ذات يومٍ..

إنّ حبّي لك من عجائب الزمان؟

ألم تقولي إنني..

بحر من الرقة والحنان؟

فكيف تسألين، يا سيّدتي،

عني.. ملوك الجان؟

حين أكون حاضراً..

وكيف لا تصدِّقين ما أنا أقوله؟

وتطلبين الرأي من صديقك الفنجان...

2

توقفي.. أرجوك.. عن قراءة الغيوب..

إن كان من بشارةٍ سعيدةٍ..

أو خبرٍ..

أو كان من حمامةٍ تحمل في منقارها مكتوب..

فإنني الشخص الذي سيطلق الحمامة..

وإنني الشخص الذي سيكتب المكتوب..

أو كان يا حبيبتي من سفرٍ..

فإنّني أعرف من طفولتي..

خرائط الشمال والجنوب..

وأعرف المدائن

التي تبيع للنساء أروع الطيوب..

وأعرف الشمس

التي تنام تحت شرشف المحبوب..

وأعرف المطاعم الصغرى التي تشتبك الأيدي بها..

وتهمس القلوب للقلوب..

وأعرف الخمر التي تفتح يا حبيبتي نوافذ الغروب

وأعرف الفنادق الصغرى التي تعفو عن الذنوب

فكيف يا سيدتي؟

لا تقبلين دعوتي

إلى بلادٍ هربت من معجم البلدان..

قصائد الشعر بها..

تنبت كالعشب على الحيطان..

وبحرها..

يخرج منه القمح.. والنساء.. والمرجان..

فكيف يا سيّدتي..

تركتني.. منكسر القلب على الإيوان

وكيف يا أميرة الزمان؟.

سافرت في فنجان..

3

توفقي فوراً..

فإنّي لست مهتماً بكشف الفال..

ولست مهتمّاً بأن أقيم أحلامي على رمال

ولا أرى معنى لكل هذه الرسوم، والخطوط ، والظلال...

ما دام حبّي لك يا حبيبتي..

يضربني كالبرق والزلزال..

فما الذي يفيدك الإسراف في الخيال؟

ما دام حبّي لك يا حبيبتي

يطلع كل لحظةٍ سنابلاً من ذهبٍ..

وأنـهراً من عسلٍ.. وعطر برتقال..

فما الذي يفيدك السؤال؟

عن كل ما يأتيك من رسائل

وكلّ ما يأتيك من أطفال..

وكيف، يا سيدتي، يفكر الرجال..

***

توقفي فوراً..

فإنّي أرفض التزييف في مشاعر الإنسان

توقفي.. توقفي..

من قبل أن أحطّم الفنجان...

إلى ممثلة فاشلة

1

في طبعك التمثيل

في طبعك التمثيل

ثيابك الغريبة الصارخة الألوان..

وصوتك المفرط في الحنان..

وشعرك الضائع في الزمان والمكان..

والحَلَقُ المغامر الطويل

جميعها.. جميعها..

من عدَّةِ التمثيل..

2

سيدتي:

إياك أن تستعملي قصائدي

في غرض التجميل.

فإنّني أكره كلّ امرأة

تستعمل الرجال للتجميل

لست أنا.. لست أنا..

الشخص الذي تعلّقين في الخزانة

ولا طموحي أن أسمّى شاعر السلطانة

أو أن أكون قطّةً تركيةً

تنام طول الليل تحت شعرك الطويل

فالدور مستحيل.

لأنّني أرفض كلّ امرأةٍ..

تحبُّني.. في غرض التجميل..

3

لا تسحبيني من يدي..

إلى مشاويرك مثل الحمل الوديع.

لا تحسبيني عاشقاً من جملة العشّاق في القطيع.

ما عدت أستطيع أن أحتمل الإذلال يا سيدتي،

والريح.. والصقيع..

ما عدت أستطيع..

نصيحتي إليك.. أن لا تصبغي الشفاه من دمائي

نصيحتي إليك.. أن لا تقفزي من فوق كبريائي

نصيحتي إليك.. أن لا تعرضي

رسائلي التي كتبتها إليك كالإماء..

فإنني آخر مَن يُعرَض كالخيول في مجالس النساءِ..

4

نصيحةً بريئةٌ إليك.. يا عزيزتي

لا تحسبيني وصلةً شعريةً أكون فيها نجم حفلاتك..

أو تحسبيني بطلاً من ورقٍ يموت في إحدى رواياتك

أو تشعليني شمعةً لتضمني نجاح سهراتك..

أو تلبسيني معطفاً لتعرفي رأي صديقاتك..

أو تجعليني عادةً يوميّةً من بين عاداتك..

5

نصيحة أخيرة إليك.. يا عزيزتي

لا تستغلي الشِعر حتى تُشبعي إحدى هواياتك

فلن أكون راقصاً محترفاً...

يسعى إلى إرضاء نزواتك

وها أنا أقدِّم استقالتي

من كلِّ جنَّاتك...

العصفور

1

لو حميناه من البرد قليلا..

وحميناه من العين قليلا..

لو غسلنا قدميه بمياه الورد والآس قليلا..

آه.. لو نحن أخذناه إلى ساحات باريس العظيمة

وتصوّرنا معه..

مرةً في ساحة (الفاندوم) أو في ساحة (الباستيل)

أو في الضفـّة اليسرى من السين..

آه.. لو تدحرجنا على الثلج معه..

وهو بالقبَّعة الزرقاء يجري..

ودموعي جدول يجري معه ..

2

آه.. لو نحن أخذناه إلى عالم (ديزني)..

وركبنا في القطارات التي تمرق من بين ملايين

الفراشات إلى قوس قزح..

آه .. لو نحن استجبنا لأمانيه الصغيرات..

آه.. لو أكلنا معه (البيتزا) بروما..

وتجوَّلنا بأحياء فلورنسا..

وتركناه ليرمي خبزه لطيور (البندقية)..

فلماذا هرب العصفور منا يا شقيَّة؟

قد رسمناه بأهداب الجفون

ونحتناه بأحداق العيون

وانتظرناه قروناً.. وقرون

فلماذا هرب العصفور منّا؟

دون أن يلقي التحية...

3

ربّما... لو أنت من جنّتك الخضراء، يا سيدتي..

لم تطرديه..

ربّما.. لو أنت، يا سيّدتي، لم تقتليه..

كان سلطان زمانه..

ربّما.. لو كان حياً

دخل الشمسَ على ظهر حصانه

ربّما.. لو قال شعراً ..

يقطر السكر من تحت لسانه

ربّما.. لو شاء يوماً أن يغنّي..

يطلع الورد على قوس كمانه..

ربّما.. لو ظلَّ حياً..

حرك الأرض بأطراف بنانه..

4

لا تقولي: (لا تؤاخذني)..

فقد كان قضاءً وقدر..

هل يكون الجهل والسخف قضاءً وقدر؟

قمراً كان..

ومن يقتل، يا سيدتي، ضوء القمر؟

وتراً كان..

ومن يقطع من عود وتر؟

مطراً كان..

ولن يأتي إلينا مرة ً أخرى المطر..

انت لو أعطيته الفرصة يا سيدتي..

ربّما كان المسيح المنتظر...

5

آه.. يا قاتلة الحلم الجميل المبتكر..

مؤسفٌ أن يقتل الإنسان حلما..

مؤسفٌ أن تكسري في الأفق نجما..

يا التي تبكي طوال الليل عصفور الأمل

سبق السيف العزل..

لا تلوميني إذا ما يبس الدمع بعينيّ

وصار القلب فحما..

فأنا كنت أباً..

مدهش الأحلام.. لكن

أنت، يا سيّدتي، ما كنت أمّا..

فاطمة في ساحة الكونكورد

1

يمطر عليّ كحلك الحجازي

وأنا في وسط ساحة (الكونكورد)

فأرتبك..

وترتبك معي باريس

تسقط حكومةٌ.. وتأتي حكومة

وتطير الجرائد الفرنسية من أكشاكها

وتطير الشراشف من فوق طاولات المقاهي..

وتطلب العصافير اللجوء السياسي

إلى عينيك العربيتين...

2

أيّتها العربيّة الداخلة كالخنجر في صباحات باريس

يا من ترتشفين القهوة بالحليب

وترتشفين معها كريّاتي الحمراء والبيضاء

ما كان في حسابي أن ألاقيك في محطّة الحزن

وأن تلتقطيني بأهداب حنانك

وأنا في ذروة البرد، والخوف، والإنكسار

لكن باريس قادرةٌ على كل شيء

ونبيذ بوردو الأحمر، هو الذي سيلغي الفروق

بين صقيع أوربا..

وشموس العالم الثالث

بين حيائك الجميل...

وبين جنوني...

3

أيّتها العربيّة التي تتكسّر على أرصفة (المونمارتر)

فتافيت ياقوت..

وغابة سيوف..

يا من يتصالح في عينيها الضوء.. والعتمة..

والماء.. والحرائق

ما كان في حسابي..

وأنا أتمشّى بين (الفاندوم).. و(المادلين)..

أن أدخل في جدليّة اللون الأسود

وإشكالية العيون الواسعة

كخواتم الفضّة...

ما كان في حسابي..

أن أدخل في تفاصيل التاريخ العربي

فلقد تخانقت مع تاريخي..

وجئت إلى باريس.. لألغي ذاكرتي

ولكن ما أن نزلت من الطائرة ..

حتى نزلت ذاكرتي معي..

ونزل شعرك الغجري معي..

ونزلت أثوابك.. ومعاطفك..

وأدوات زينتك معي..

لتسدّ مداخل الطرقات

من مطار (شارل دوغول)

إلى كنيسة نوتردام...

4

يا فاطمة ساحة (الكونكورد)..

يا فاطمة الفاطمات

أيها السيف المرصّع بأجمل الآيات

أيها الخصر الذي يقول القصائد والأغنيات

أيتها اللغة التي ألغت جميع اللغات..

أرحّب بك في باريس..

وأرجو لك إقامةً سعيدة

فوق أعشاب صدري...

5

يا ذات الشفتين الممتلئتين كحبّتي فاكهة..

كم هو استفزازيّ نوع العطر الذي تضعينه

وكم هو رائع إفطار الصباح معك..

وأنت تنقرين قطعة (الكرواسان) كعصفور

وتنقرين فمي كعصفور

أيتها السنجابة الآسيوية

التي تنط من أعلى (برج إيفل) إلى صدري..

ولا تخشى الدوار..

وتستحمّ بنوافير (قصر فرساي)

ولا تخشى الغرق..

وتنام عاريةً على أعشاب حديقة (التويلري)..

ولا تخشى الفضيحة..

6

أيّتها العربيّة التي ينقّط العسل الأسود من عينيها

نقطةً.. نقطة..

وينقّط الشعر من شفتها السفلى

قصيدةً.. قصيدة..

ويرنُّ حلقها الطويل صباح يوم الأحد

كناقوس كنيسة..

ما كان في حسابي..

أن أمرَّ معك ذات يوم تحت قوس النصر

لنضع وردةً على قبر العاشق المجهول..

ولا كان في حسابي..

أن أرى صورتك في متحف اللوفر

مع أعمال رينوار..

وماتيس..

وسيزان..

وأن أرى أعمالي الشعريَّة

تباع في مكتبات الضفّةِ اليسرى

مع أعمال رامبو..

وفيرلين[3]..

وجاك بريفير...

7

صباح الخير..

[3] بول فيرلين أو باول فرلان هو أمير الشعر الفرنسي. وجاك بريفير أيضا شاعر فرنسي. وكذلك آرتور رامبو.

أيتها العصفورةُ القادمة من المياه الدافئة

لتغتسل بأمطار باريس

وأمطار حنيني..

صباح الخير..

أيَّتها السمكة التي تتكلّم اللغة العربيَّة

وتتهجى كلمات الحبِّ باللغة الفرنسيَّة..

وتتهجَّاني بكلِّ لغات الأنوثة...

8

كلَّما سافرت إلى باريس دون حجزٍ..

تصيرين فندقي...

9

صباحِ الخير.. يا بستان الزعفران

صباحِ الخير.. يا سجّادة الكاشان

صباحِ الخير على أصابعك النائمة بين أصابعي..

وعلى معطف المطر الذي كنتِ تلبسينه معي..

وعلى جرائد الصباح التي كنتِ تتصفّحينها معي..

صباحِ الخير..

على الكافيتريات التي ثرثرنا فيها..

وعلى البوتيكات التي رافقتك إليها..

وعلى المرايا التي دخلناها معاً...

ثم سافرتِ..

وتركتني حتى الآن.. مرسوماً عليها...

10

يا فاطمة:

يا ذات الشفتين المعطَّرتينِ بحبِّ الهال[4]

والقدمين المرسومتين بالأكواريل[5]

لم يكن في حسابي

أن أكون أشهر العُشّاق بتاريخ العرب..

وأشهر العشّاق في تاريخ فرنسا..

لم يكن في حسابي..

أن أدخل إلى باريس بجواز سفرٍ عربي

وأخرج منها..

رئيساً للجمهوريّة الخامسة!!..

---

[4] الهال بلهجة الشام هو الحبهان عندنا في مصر.

[5] الأكواريل هي الألوان المائية.

امرأة تمشي في داخلي

1

لا أحد قرأ فنجاني..

إلا وعرف أنّك حبيبتي

لا أحد درس خطوط يدي

إلا واكتشف حروف اسمك الأربعة..

كلُّ شيء يمكن تكذيبه

إلا رائحة امرأة ٍ نحبُّها..

كلُّ شيءٍ يمكن إخفاؤه

إلا خطوات امرأةٍ تتحرَّك في داخلنا..

كلُّ شيءٍ يمكن الجدل فيه..

إلا أنوثتك..

2

أين أخفيك يا حبيبتي؟

نحن غابتان تشتعلان

وكلُّ كاميرات التلفزيون مسلَّطةٌ علينا..

أين أخبِّئك يا حبيبتي؟

وكلُّ الصحافيين يريدون أن يجعلوا منك

نجمة الغلاف..

ويجعلوا مني بطلاً إغريقياً

وفضيحةً مكتوبة..

3

أين أذهب بك؟

أين تذهبين بي؟

وكل المقاهي تحفظ وجوهنا عن ظهر قلب

وكل الفنادق تحفظ أسماءنا عن ظهر قلب

وكل الأرصفة تحفظ موسيقى أقدامنا

عن ظهر قلب..

نحن مكشوفان للعالم كشرفةٍ بحرية

ومرئيان كسمكتين ذهبيتين..

في إناءٍ من الكريستال..

4

لا أحد قرأ قصائدي عنك..

إلا وعرف مصادر لغتي..

لا أحد سافر في كتبي

إلا وصل بالسلامة إلى مرفأ عينيك

لا أحد أعطيته عنوان بيتي

إلا توجّه صوب شفتيك..

لا أحد فتح جواريري[6]

إلا ووجدك نائمةً هناك كفراشة..

ولا أحد نبش أوراقي..

إلا وعرف تاريخ حياتك..

---

[6] جوارير جمع جارور وهو الدرج بضم الدال وسكون الراء.

5

علـِّميني طريقةً ..

أحبسك بها في التاء المربوطة

وأمنعك من الخروج..

علِّميني أن أرسم حول نـهديك

دائرة بالقلم البنفسجي

وأمنعهما من الطيران

علـِّميني طريقةً أعتقلك بها كالنقطة في آخر السطر..

علميني طريقة أمشي بها تحت أمطار عينيك.. ولا أتبلل

وأشمُّ بها جسدك المضمّخ بالبهارات الـهنديَّة..

ولا أدوخ..

وأتدحرج من مرتفعات نـهديك الشاهقين..

ولا أتفتـّت....

6

إرفعي يديك عن عاداتي الصغيرة

وأشيائي الصغيرة..

عن القلم الذي أكتب به..

والأوراق التي أخربش عليها..

وعلاقة المفاتيح التي أحملها..

والقهوة التي أحتسيها..

وربطات العنق التي أقتنيها

إرفعي يديك عن كتابتي..

فليس من المعقول أن أكتب بأصابعك

وأتنفس برئتيك..

ليس من المعقول أن أضحك بشفتيك

وأن تبكي أنت بعيوني!!.

7

إجلسي معي قليلاً..

لنعيد النظر في خريطة الحب التي رسمتها

بقسوة فاتحٍ مغوليّ..

وأنانية امرأة تريد أن تقول للرجل:

" كن .. فيكون.."

كلِّميني بديمقراطية،

فذكور القبيلة في بلادي..

أتقنوا لعبة القمع السياسي

ولا أريدك أن تمارسي معي

لعبة القمع العاطفي..

8

إجلسي حتى نرى..

أين حدود عينيك؟.

وأين حدود أحزاني؟.

أين تبتدئ مياهك الإقليمية؟

وأين ينتهي دمي؟.

إجلسي حتى نتفاهم..

على أي جزءٍ من أجزاء جسدي

ستتوقف فتوحاتك..

وفي أي ساعةٍ من ساعات الليل

ستبدأ غزواتك؟

9

إجلسي معي قليلاً..

حتى نتفق على طريقة حبٍّ

لا تكونين فيها جاريتي..

ولا أكون فيها مستعمرةً صغيرة

في قائمة مستعمراتك..

التي لا تزال منذ القرن السابع عشر

تطالب نهديك بالتحرر

ولا يسمعان..

ولا يسمعان..

لا أرى أحداً سواكِ

أنا لا أفكر ..

أن أقاوم ، أو أثور على هواكِ ..

فأنا وكل قصائدي ..

من بعض ما صنعت يداكِ ..

إن الغرابة كلها ..

أني محاط بالنساء ..

ولا أرى أحداً سواكِ ..

على عينيك يضبط العالم ساعاته

1

قبل أن تصبحي حبيبتي

كان هناك أكثر من تقويم لحساب الزمان.

كان للهنود تقويمهم،

وللصينيين تقويمهم،

وللفرس تقويمهم،

وللمصريين تقويمهم،

بعد أن صرت حبيبتي

صار الناس يقولون:

السنة الألف قبل عينيها

والقرن العاشر بعد عينيها.

2

وصلت في حبّك إلى درجة التبخر

وصار ماء البحر أكبر من البحر

ودمع العين أكبر من العين

ومساحة الطعنة..

أكبر من مساحة اللّحم.

3

لم يعد بوسعي أن أحبك أكثر

وأتوحد بك أكثر

صارت شفتاي لا تكفيان لتغطية شفتيك

وذراعاي لا تكفيان لتطويق خصرك

وصارت الكلمات التي أعرفها

أقلّ بكثير،

من عدد الشامات التي تطرِّز جسدك.

4

لم يعد بوسعي،

أن أتغلغل في أدغال شعرك أكثر

فمنذ أعوام،

وهم يعلنون في الجرائد أنني مفقود

ولا زلت مفقوداً..

حتى إشعارٍ آخر..

5

لم يعد بوسع اللغة أن تقولك..

صارت الكلمات كالخيول الخشبية

تركض وراءك ليلاً ونـهاراً

ولا تطالك..

6

كلـّما اتّهموني بحبّك..

أشعر بتفوقي.

وأعقد مؤتمراً صحفياً،

أوزّع فيه صورك على الصحافة،

وأظهر على شاشة التلفزيون

وأنا أضع في عروة ثوبي

وردة الفضيحة..

7

كنت أسمع العشّاق

يتحدّثون عن أشواقهم

فأضحك..

ولكن عندما رجعت إلى فندقي

وشربت قهوتي وحدي..

عرفت كيف يدخل خنجر الشوق في الخاصرة

ولا يخرج أبداً..

8

مشكلتي مع النقد

أنني كلّما كتبت قصيدةً باللون الأسود

قالوا إنني نقلتها عن عينيك..

9

.. ومشكلتي مع النساء

أنني كلّما نفيت علاقتي بك

سمعن خشخشة أساورك

في ذبذبات صوتي

ورأين قميص نومك

معلّقاً في خزانة ذاكرتي.

10

لا تعوِّديني عليك..

فقد نصحني الطبيب

أن لا أترك شفتيّ في شفتيك

أكثر من خمس دقائق

وأن لا أجلس تحت شمس نهديك

أكثر من دقيقةٍ واحدةٍ

حتّى لا أحترق..

11

إن كنت تعرفين رجلا..

يحبك أكثر مني

فدُلّيني عليه

لأهنِّئه..

وأقتله بعد ذلك..

في وصف قطّة سيامية

1

تخلع فاطمة حذاءها...

وتتكوّم،

كقطّة سيامية في جوف راحتي

ترمي حقيبتها على مقعد...

وكيس مشترياتها على مقعد

وتدخل...

في أول شريانٍ تصادفه.

2

تخلع فاطمة أسماءها..

وتقرر في شجاعة باهرة

أن تكون امرأتي..

تنتزع الحلق من أذنيها

تنتزع الأساور من يديها

ترمي خواتمها..

ودبابيس شعرها على الأرض

وذاكرتها.. وأيامها المتشابهة على الأرض

وتندس كشجرة الكاكاو...

تحت ثيابي..

3

تضع فاطمة صورةً كبيرةً لها في غرفة الجلوس

تختار لون ستائري،

ولون دفاتري،

وتفرض عليّ ذوقها في الطعام، وفي الحب

وتغمغم من فرحها..

كقطّة سياميّة..

4

تدخل فاطمة عليّ..

ملتفةً بزوبعةٍ من شعرها الأسود..

تضع مجلاتها النسائية على مكتبي.

وثوب نومها في خزانتي..

وملاقط شعرها في جواريري..

تضع فرشاة أسنانها،

قرب فرشاة أسناني،

فأدرك أنّها قررت احتلالي..

5

تضجر فاطمة من شكل نهديها

وتحاول رسمهما من جديد..

وتضجر من مكان سرّتها الذي لا يتغيّر

وتأمرها أن تتحوّل إلى عصفور..

لا شيء أروع من فاطمة

عندما تخرج من بيت الطاعة

وتصهل كمهرةٍ..

تحت شمس الحريّة.

6

تقود فاطمة انقلاباً تاريخياً على جسدها..

وتستلم السلطة..

تضع وزراءها في السجن

ومستشاريها في السجن

وقيس بي الملوّح، وجميل بثينة

وجميع الشعراء العذريين في السجن

وجميع الذين ألّفوا في فنّ الحب

ولم يلامسوا إصبع امرأة...

وجميع الذين تحدّثوا عن انتصاراتهم النسائية

دون أن يصابوا

بطعنةٍ واحدةٍ..

أو بقبلةٍ واحدةٍ

أو بذبحة قلبية واحدة..

وجميع الذين كتبوا عن جحيم الجنس

ولم يناموا مع ذبابة..

وتعلن فاطمة أمام الجماهير التي جاءت لمبايعتها

وفي لحظة صدقٍ لا يعرفها العرب

أنّها حبيبتي..

7

ترفض فاطمة جميع النصوص المشكوك بصحّتها

وتبتديء من أوّل السطر..

تمزِّق جميع المخطوطات التي ألّفها الذكور

وتبتديء من أبجدية أنوثتها.

ترمي جميع كتبها المدرسيّة،

وتقرأ في كتاب فمي.

تهاجر من مدن الغبار

وتتبعني حافيةً إلى مدن الماء.

تقفز من قطار الجاهلية

وتتكلّم معي لغة البحر..

تكسر ساعتها الرمليّة..

وتأخذني معها إلى خارج الوقت...

8

تعتقد فاطمة

- وفاطمة دائما على حق -

أنّ حركة التاريخ تبدأ من عينيها،

وأن الإنسان الأوّل،

عمّر مغارته ما بين نهديها..

وأن اللغة لولاها، لا عمل لها..

والموسيقى لا صوت لها..

والألوان لا لون لها..

وأن الشِّعر - إذا هي رفعت يدها عنه -

سيقفل الباب على نفسه،

وينتحر..

9

تعجبني قرارات فاطمة

عندما تتحول من حجرٍ مستدير

إلى نافورة ماءٍ في بيت أندلسي

ومن قصيدةٍ موزونةٍ ومقفّاة

إلى حمامةٍ تحطُّ على كتفي.

ومن جاريةٍ في بلاط هارون السادس عشر

إلى مليكة في بلاط الشِّعر...

10

تعجبني حماقات فاطمة..

عندما تتجاوز الإشارات الحمراء

التي وضعها التاريخيّون حول كلامها،

وحول أحلامها..

وتذبحهم في خيمتهم

واحداً.. واحداً..

وتعجبني مبالغات فاطمة

عندما تطرد جميع حرّاسها

وتعيِّنني حارساً على نهديها

بمرتبٍ قدره عشرة آلاف قبلةٍ

في الليلة الواحدة....

11

أحبّ فاطمة

حين تشرب قهوتها الصباحيّة،

وتشربني..

وأحبها أكثر حين تؤكّد لي

أنّها سوف تحتلُّ العالم،

وتحتلُّني..

12

فاجأت فاطمة

وهي تصطاد السمك الأحمر

على شواطيء دمي..

13

تعتقلني فاطمة تحت أهدابها

فلا أعرف متى ينتهي الليل

ومتى يبدأ النهار..

14

على يدي فاطمة

تعلّمت أن أكون كاتباً جيّداً

ومحارباً جيداً

كما علّمتني أن أحبّها جيداً

وعلى يدي فاطمة

تعلّمت أن الليبراليّة هي امرأة.

وأن الرجل ـ مهما تثقف ـ

فهو رجل مخابرات...

15

من لم يعرف فاطمة

لم يعرف ما هي أعظم أعمال الله..

ولم يعرف ما هو الشعر..

16

تُحطّم فاطمة

جميع قوارير الطبِّ العربي

وجميع معتقلات الحب العربي

وتخرجني من ثبات النصِّ العربي

وتفتح لي باب الإجتهاد.

17

فاطمة.

هي أهمّ امرأة بين نساء العالم.

وأنا، أهمّ رجلٍ أحبّها

وحمل السلاح معها..

إنـها تثلج نساء

1

إنّـها تثلج نساءً..

أنزع معطف المطر الذي أرتديه،

وأقفل مظلـّتـي،

وأتركـهنّ يتساقطن على جسدي

واحدةً.. واحدة

ثماراً من النـار

وعصافير من الذهب.

2

إنّها تثلج نساءً..

أفتح جميع أزرار قميصي

وأتركهنّ يتزحلقن على هضابي

ويغتسلن بمياهي

ويرقصن في غاباتي

وينمن في آخر الليل كالطيور فوق أشجاري..

3

إنها تثلج نساءً..

أخرج كالطفل إلى الحديقة

وأتركهنّ يكرجن كاللآلئ على جبيني

إمرأةً.. إمرأة

ولؤلؤةً.. لؤلؤة..

أحملهن كالثلج على راحة يدي

وأخاف عليهنّ أن يذبن كالثلج بين أصابعي

من حرارة العشق.

4

إنّها تثلج نساءً..

تخرج بلاد العرب عن بكرة أبيها

البوادي تخرج.. والحواضر تخرج

الأغنياء يخرجون.. والفقراء يخرجون

واحدٌ يحمل بارودة صيد

وواحد يحمل صنّارة سمك

وواحد يحمل قفصا

وواحد يحمل بطحة عرق

وواحد يحمل مخدّةً وسريرا..

5

إنّها تثلج نساءً..

والوطن كلُّه مستنفرٌ للهجوم على اللون الأبيض

واحد يريد أن يقرقش الثلج تحت أسنانه..

واحد يريد أن يتزوّج الثلج..

وواحد يريد أن يأكله..

وواحد يريد أن يأخذه لبيت الطاعة..

وواحد يسحب دفتر شيكاته من جيبه

ليشتري أيّ نهدٍ أشقر يسقط من السماء

كي يجعله ديكوراً في حجرة نومه ....

6

يسمع الثلج قرع الطبول، وخشخشة السلاسل

ويرى بريق الخناجر، والتماع الأنياب

يخاف الثلج على عذريّته..

فيحزم حقيبته،

ويقرّر أن يسقط في بلاد أخرى...

حزيران (يونيو) 1983

25 وردة في شعر بلقيس

1

كنت أعرف أنّها سوف تُقتل..

وكانت تعرف أنّني سوف أقتل..

وقد تحقّقت النبوءتان...

سقطت هي، كفراشة، تحت أنقاض الجاهليّة

وسقطت أنا.. بين أنياب عصرٍ عربي

يفترس القصائد..

وعيون النساء..

ووردة الحرّية..

2

كنت أعرف أنّها سوف تقتل..

وأنّ أنوثتها لن تشفع لها..

فالأنوثة في هذا الوطن الممتدّ جغرافياً

من البشاعة إلى البشاعة..

ومن القذيفة إلى القذيفة

ليست سبباً تخفيفياً

يحمي الحمائم من الذبح..

ولا تعطي امتيازاً للأمّهات

لكي يكملن ارضاع أطفالهن..

3

كنت أعرف أنّها سوف تقتل..

فقد كانت جميلةً في عصرٍ عربيٍّ قبيح..

وكانت نقيّةً في عصرٍ عربيٍّ ملوّث

وكانت نبيلةً في عصر الصعاليك.

وكانت لؤلؤةً نادرةً

بين أكداس اللؤلؤ الصناعي

وكانت امرأةً متفرّدة..

بين أرتال النساء المتشابهات...

4

كنت أعرف أنّها سوف تقتل..

ففيها تجسّدت حضارة ما بين النهرين

ونحن متخلِّفون..

هي مقامٌ بغدادي رائع..

ونحن لا نسمع..

هي قصيدةٌ عباسية..

ونحن لا نقرأ..

هي فصلٌ من ملحمة (جلجامش)

ونحن أميون..

هي أجمل ما كُتب من شعر..

ونحن أردأ ما كتب من نثر..

5

كنت أعرف أنّـها سوف تقتل..

لأنّ عينيـها كانتـا صافيتين كنـهرين من الزمرّد..

وشعرها كان طويلاً كموالٍ بغدادي

فأعصاب هذا الوطن،

لا تتحمّل كثافة اللون الأخضر

ولا تتحمل رؤية مليون شجرة نخل

تتجمع في عيني بلقيس..

6

كنت أعرف أنّها سوف تقتل..

فكلّنا - دون استثناءٍ - موضوعون على قائمة الطعام

في هذا الوطن الذي احترف أكل مواطنيه..

والغريب.. أنّهم يطالبون قبل أن يأكلونا..

أن نغنّي النشيد الوطني!!

ونأخذ التحية العسكرية لرئيس المائدة

وللغارسونات الذين يحيطون به..

أي نشيدٍ وطنيّ؟. أي وطن؟..

حين تكون جثّة المواطن العربي

مدفونةً في مكانٍ ما..

بين معدة الحاكم العربي..

وبين مصرانه الغليظ...

7

كنت أعرف أنّها سوف تقتل..

فقد كانت مساحة كبريائها

أكبر من مساحة شبه جزيرة العرب

وكانت حضارتها لا تسمح لها

أن تعيش في عصر الإنحطاط ..

وكان تركيبها الضوئي..

لا يسمح لها أن تعيش في العتمة...

8

كانت تعتقد من شدّة عنفوانها

أنّ الكرة الأرضية صغيرة عليها..

ولهذا حزمت حقائبها،

وانسحبت على أطراف أصابعها،

دون أن تخبر أحداً..

9

لم تكن خائفة أن يقتلها الوطن

ولكنّها كانت خائفة على الوطن

أن يقتل نفسه..

10

كسحابةٍ حبلى بالشِعر..

نقّطت فوق دفاتري

نبيذاً.. وعسلا.. وعصافير..

وياقوتاً أحمر..

ونقّطت فوق مشاعري

قلوعاً.. وطيوراً بحريةً

وأقمار ياسمين

بعد رحيلها،

بدأت عصور العطش

وانتهى زمن الماء..

11

كان حبّها العراقيّ

له طعم الورد.. وطعم الجمر..

وكان إذا فاض في موسم الربيع

كسر جميع السدود..

وكسرني عشرين ألف قطعة..

12

أسّست معها في 5 آذار 1962

أول مدرسة للعشق في بغداد

وعندما سقطت بلقيس في 1981/12/15

إستقال المعلّمون والمعلّمات

وهرب التلاميذ

وتأجّلت دراسة الحب..

إلى أجلٍ غير مسمى...

13

قبل أن يتركني شعرها الذهبي

ويسافر..

لم أكن أعرف أبداً

أنّ من بعض هوايات العصافير..

تجميع سبائك الذهب..

14

بعد رحيل بلقيس

لن يكبر الشجر

ولن يستدير القمر

ولن يشتعل الماء...

15

لأن الشعب العربي

كان يتمنّى أن يكون حراً كشَعر بلقيس

وغير معتقلٍ بالدبابيس

والزنزانات.. والأسلاك الشائكة..

كشعر بلقيس..

فقد أمر السلطان ـ نصره الله على أعدائه ـ

ـ وزاد من عدد محظيّاته ونسائه ـ

بإشعال النار في حقول الحنطة..

وقطع رأس كل سنبلةٍ تتكلم مع سنبلةٍ أخرى

والتخلّص من شعر بلقيس الجامح

كحصان أشقر..

لأنه يعلّم الناس الطموح

ويحرّضهم على الحرية

16

كنت دائماً أحس أنّـها ذاهبة..

وكان في عينيها دائماً

قلوعٌ تستعد للرحيل..

وطيّاراتٌ جاثمةٌ على أهدابها

تستعد للإقلاع.

وفي حقيبة يدها - منذ تزوّجتها-

كان هناك جواز سفر.. وتذكرة طيران

وتأشيرات دخول إلى بلادٍ لم تزرها..

وعندما كنت أسألها:

ولماذا تضعين كلّ هذه الأوراق في حقيبة يدك؟

كانت تجيب:

لأنّني على موعدٍ مع قوس قزح...

17

بعدما سلّموني حقيبة يدها..

التي عثروا عليها تحت الأنقاض

ورأيت جواز السفر..

وتذكرة الطائرة..

وتأشيرات الدخول..

عرفت أني لم أتزوّج بلقيس الراوي

وإنّما تزوجت قوس قزح...

18

في الحفلات العامّة..

كانت تتحاشى أن تقف معي..

أو تتصوّر معي..

أو تقول للناس: إنها زوجة الشاعر.

أنا الذي كنت أبحث عنها هنا.. وهناك..

وأطلب من المصورين أن يصوروني معها..

حتى أدخل التاريخ..

19

عندما كانت تحضر أمسياتي الشعريّة

كانت هي التي تسرق الضوء

وأنا الذي أبقى في الظل.

لم تكن تطلب رضى الشعر..

كان الشعر هو الذي يطلب رضاها...

20

عندما تموت امرأة جميلة..

تفقد الكرة الأرضيّة توازنها

ويعلن القمر الحداد لمئة عام

ويصبح الشعر عاطلاً عن العمل..

21

لم تكن تعترف بأوساط الحلول

حضورها كان استثنائياً..

وحديثها كان استثنائياً..

وشعرها الذي كان يسافر في كلّ الدنيا..

كان حادثاً استثنائياً..

لذلك..

كان موتها استثنائياً مثلها...

22

تزوّجتني.. رغم أنف القبيلة

وسافرت معي..

رغم أنف القبيلة..

وأعطتني زينب وعمر..

رغم أنف القبيلة..

وعندما كنت أسألها: لماذا؟

كانت تأخذني كالطفل إلى صدرها

وتتمتم:

"لأنك قبيلتي.."

23

كانت خرافيّة الألوان.. كفراشة

ورشيقة الطيران.. كفراشة..

وقصيرة العمر.. كفراشة..

وعندما أحرقوها في يوم 15 ديسمبر 1981

قالت إحصاءات الأمم المتحدة

إنّنا القبيلة الوحيدة في العالم

التي تأكل الفراش..

24

بلقيس الراوي

بلقيس الراوي

بلقيس الراوي

كنت أحبّ إيقاع اسمها..

وأتمسّك برنينه..

وكنت أخاف أن ألصق به كنيتي

حتى لا أعكّر ماء البحيرة..

وأشوه روعة السمفونيّة..

25

ما كان لهذه المرأة أن تعيش أكثر..

ولا كانت تتمنّى أن تعيش أكثر

فهي من فصيلة الشموع والقناديل

وهي كاللّحظة الشعرية

لا بدّ لها أن تنفجر قبل آخر السطر....

بيروت 82/4/10

الحب لا يقف على الضوء الأحمر

1

لا تفكر أبداً.. فالضوء أحمر..

لا تكلّم أحداً.. فالضوء أحمر

لا تجادل في نصوص الفقه..

أو في النحو..

أو في الصرف..

أو في الشعر..

أو في النثر..

إنّ العقل ملعون، ومكروه، ومنكر...

2

لا تغادر..

قنّك المختوم بالشمع.. فإنّ الضوء أحمر

لا تحبّ امرأة أو فأرة ً..

إنّ ضوء الحب أحمر..

لا تضاجع حائطا.. أو حجراً.. أو مقعداً..

إن ضوء الجنس أحمر..

إبق سرِّياً..

ولا تكشف قراراتك حتى لذبابة..

إبق أمياً..

ولا تدخل شريكاً في الزنى أو في الكتابة..

فالزنى في عصرنا..

أهون من جرم الكتابة..

3

لا تفكّر بعصافير الوطن..

وبأشجار.. وبأنهار.. وبأخبار الوطن

لا تفكّر بالذين اغتصبوا شمس الوطن..

إنّ سيف القمع يأتيك صباحاً

في عناوين الجريدة..

وتفاعيل القصيدة..

وبقايا قهوتك

ولا تنم بين ذراعي زوجتك...

إنّ زوّارك عند الفجر موجودون تحت الكنبة..

4

لا تطالع كتباً في النقد أو في الفلسفة

إنّ زوّارك عند الفجر..

مزروعون مثل السوس في كل رفوف المكتبة..

إبق في برميلك المملوء نملاً.. وبعوضاً.. وقمامة..

إبق من رجليك مشنوقاً إلى يوم القيامة..

إبق من صوتك مشنوقاً إلى يوم القيامة..

إبق من عقلك.. مشنوقاً إلى يوم القيامة..

إبق في البرميل.. حتى لا ترى

وجه هذي الأمّة المغتصبة..

5

أنت لو حاولت أن تذهب للسلطان..

أو زوجته..

أو صهره..

أو كلبه المسؤول عن أمن البلاد..

والذي يأكل أسماكاً.. وتفـّاحاً.. وأطفالاً..

كما يأكل من لحم العباد..

لوجدت الضوء أحمر..

6

أنت لو حاولت أن تقرأ يوما

نشرة الطقس.. وأسماء الوفيات.. وأخبار الجرائم..

لوجدت الضوء أحمر..

أنت لو حاولت أن تسأل عن سعر دواء الربو..

أو أحذية الأطفال..

أو سعر الطماطم..

لوجدت الضوء أحمر..

أنت لو حاولت أن تقرأ يوماً

صفحة الأبراج..

كي تعرف ما حظّك قبل النفط..

أو حظّك بعد النفط..

أو تعرف ما رقمك ما بين طوابير البهائم..

لوجدت الضوء أحمر..

7

أنت لو حاولت..

أن تبحث عن بيتٍ من الكرتون يأويك..

أو سيدةٍ ـ من بقايا الحرب ـ ترضى أن تسلّيك..

وعن نهدين معطوبين..

أو ثلّاجةٍ مستعملة..

لوجدت الضوء أحمر..

أنت لو حاولت..

أن تسأل أستاذك في الصف.. لماذا؟

يتسلّى عرب اليوم بأخبار الهزائم؟

ولماذا عرب اليوم زجاجٌ فوق بعض يتكسر؟

لوجدت الضوء أحمر..

8

لا تسافر بجوازٍ عربيّ..

لا تسافر مرةً أخرى لأوروبا

فأوروبا ـ كما تعلم ـ ضاقت بجميعِ السفهاء..

أيها المنبوذ..

والمشبوه..

والمطرود من كل الخرائط

أيها الديك الطعين الكبرياء..

أيها المقتول من غير قتال..

أيها المذبوح من غير دماء..

لا تسافر لبلاد الله..

إن الله لا يرضى لقاء الجبناء..

9

لا تسافر بجواز عربي..

وانتظر كالجرذ في كل المطارات،

فإن الضوء أحمر..

لا تقل باللغة الفصحى..

أنا مروان..

أو عدنان..

أو سحبان

للبائعة الشقراء في (هارودز)

إنّ الإسم لا يعني لها شيئاً..

وتاريخك - يا مولاي - تاريخٌ مزور..

10

لا تفاخر ببطولاتك في (الليدو)

فسوزان..

وجانين..

وكوليت..

وآلاف الفرنسيات.. لم يقرأن يوماً

قصة الزير وعنتر..

يا صديقي:

أنت تبدو مضحكاً في ليل باريس..

فعد فوراً إلى الفندق..

إن الضوء أحمر..

11

لا تسافر..

بجوازٍ عربيٍّ بين أحياء العرب!!

فهم من أجل قرشٍ يقتلونك..

وهم - حين يجوعون مساءً - يأكلونك

لا تكن ضيفاً على حاتم طيّ

فهو كذّاب..

ونصّاب..

فلا تخدعك آلاف الجواري..

وصناديق الذهب..

12

يا صديقي:

لا تسر وحدك ليلاً

بين أنياب العرب..

أنت في بيتك محدود الإقامة..

أنت في قومك مجهول النسب..

يا صديقي:

رحم الله العرب!!.

الفهرس